سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٣

الدنيا
في نهج البلاغة

إعداد
مكتبة الروضة الحيدرية

الدنيا في نهج البلاغة

- الناشر: العتبة العلوية المقدسة
- إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية
- تنضيد وإخراج: نذير هندي الكوفي
- عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة
- السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

انّ كتاب نهج البلاغة يزخر بالمعلومات عن المبدأ والمعاد وما بينهما، وهو كتاب جامع لأصول الدين وفروعه، وفيه كفاية للمهتدي وموعظة للمتقي.

نحن في هذه الحلقة من «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» نسلّط الضوء على ما ورد من ذكر الدنيا ووصفها على لسان أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، وذلك لخطورة هذا الموضوع وأهميته، إذ انّ «بالدنيا تُحرز الآخرة»[1] فهي بالنسبة لنا منعطف خطير، إما إلى الجنة وإما إلى النار ولا ثالث.

يمر الإنسان في سيره من المبدأ إلى المنتهى بأربعة عوالم: عالم الذر، عالم الخلقة (أو الجنينية)، عالم الدنيا، عالم الخلود (في الجنة أو النار)، وهو مسلوب الاختيار في هذه العوالم الّا في عالم الدنيا، حيث يتمكن من

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٦.

إسعاد نفسه أو إهلاكها، وذلك كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعى﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[2].

وهذا الاختيار هو الحافز القوي للسعي نحو الكمال، وتدارك ما فات من العمر، وعند تجاوز هذا العالم تنسدّ الأبواب «فشقوة لازمة أو سعادة دائمة»[3].

ولمعرفة عالم الدنيا حق المعرفة، والوقوف على ما ينبغي فيها وما لا ينبغي، نهدي إليك أيها القارئ الكريم هذه الحلقة وهي «الدنيا في نهج البلاغة».

١- النجم: ٣٩.

٢- الإنسان: ٣.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٧.

(١)
خلق العالم

انّ أمير المؤمنين عليه السلام يشير في طيات كلامه إلى انّ الله تعالى «أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها»[١].

وأيضاً: «خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحدٍ من خلقه»[٢]، وذلك انّه تعالى كان ولم يكن معه شيء، قال عليه السلام: «انّه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه، كما كان قبل ابتدائها»[٣].

ثم انّ الله تعالى خلق الكون بالتدريج وفي مراحل، نوردها كما وردت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

ألف: المرحلة الأولى: الماء والهواء.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٦.

الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيّاره، متراكماً زخّاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها برده، وسلّطها على شدّه، وقرنها إلى حدّه، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق.

ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها، وأدام مُربّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخّار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوّله على آخره، وساجيه على مائره، حتى عبّ عبابه، ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق»[1].

ب: المرحلة الثانية: السماوات والأرض.

قال عليه السلام: «فسوّى منه سبع سماوات، جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعليهاهنّ سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينتظمها، ثم زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيراً في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر»[2].

وقال عليه السلام: «وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصّنها من

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخدّ أوديتها، فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قوّاه»[1].

ج: المرحلة الثالثة: الملائكة.

قال عليه السلام: «ثم فتق ما بين السماوات العلا، فملأهنّ أطواراً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون، ومسبّحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان»[2].

د: المرحلة الرابعة: الإنسان.

قال عليه السلام: «ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سنّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت معدود وأجل معلوم، ثم نفخ فيه من روحه فمثلت انساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة من الحر والبرد، والبلّة والجمود، والمساءة والسرور»[1].

ثم انّ الله سبحانه وتعالى أسكن هذا الإنسان في دار «دبّرها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته»[2] وهذه الدار هي «دار البليّة وتناسل الذرية»[3] «وانّما وُضعنا فيها لنبتلى بها»[4] وأرسل فيها رسله بعدما «بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقّه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة»[5].

فالانسان في هذه الدنيا كادح إلى مقرّه، ولابدّ أن يتزوّد منها بعد اتمام الحجة عليه، وعليه أن لا ينخدع بزخرفها وزبرجها، ولا يصغي إلى نفثات الشيطان، وهذا ما سنبيّنه في الفصول التالية.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

(٢)
اتمام الحجة في الدنيا

انّ الله سبحانه وتعالى قد أتمّ الحجة على الانسان، فأعطاه أولاً العقل ليكون الحجة الباطنية، ثم أردفه بالرسل والأنبياء «يستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيّ نعمته، ويثيروا لهم دفائن العقول» كما مرّ، وبذلك أتم الحجة على الانسان.

قال أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى الأول: «ثم منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً، ليفهم معتبراً، ويقصّر مزدجراً»[١].

وقال عليه السلام بالنسبة إلى الحجة الثانية: «ولم يُخْلِ الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة»[٢].

وقال عليه السلام: «لقد بُصّرتم إن أبصرتم، وأُسمعتم إن سمعتم، وهُديتم إن اهتديتم، وبحق أقول لكم: لقد جاهرتكم العبر، وزُجرتم بما فيه مزدجر، وما يبلّغ عن الله بعد رسل السماء الّا البشر»[٣].

وقال عليه السلام: «انّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدى،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠.

ولم يدعكم في جهالة ولا عمى، قد سمّى آثاركم، وعلم أعمالكم، وكتب آجالكم، وأنزل عليكم الكتاب تبياناً، وعمّر فيكم نبيه أزماناً، حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى اليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه، ونواهيه وأوامره، فألقى اليكم المعذرة، واتخذ عليكم الحجة، وقدّم اليكم الوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد»[1].

وقال عليه السلام: «انّ الله تعالى قد أعذر اليكم بالجليّة، واتخذ عليكم الحجة، وبيّن لكم محابّه من الأعمال ومكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه»[2].

وقال عليه السلام: «فانّه لم يُخف عنكم شيئاً من دينه، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه الّا وجعل له علماً بادياً، وآية محكمة، تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحد، وسخطه فيما بقي واحد»[3].

والأنبياء مع كثرتهم لكن دعوتهم واحدة، قال عليه السلام: «ألا وانّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضلّ وندم»[4].

فمع وجود حجة العقل، وحجة النبوة لا غموض في الأمر، ولا حجة للانسان في التكاسل والتواني، قال عليه السلام: «انّ الأمر واضح،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٩.

والعَلَم قائم، والطريق جدد، والسبيل قصد»[1]. وذلك «انّ الله قد أوضح سبيل الحق وأنار طرقه»[2].

ويؤكد عليه السلام هذا الأمر مراراً لينفذ في الأسماع ويثبت في القلوب، ويقول: «اعملوا رحمكم الله على أعلام بينة، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام»[3]. وقال عليه السلام: «ألا وانكم قد أُمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد»[4].

وهذا الطريق هو الطريق الوسط الذي لابد من سلوكه إذ انّ «اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادة، عليها باقي الكتاب، وآثار النبوة، ومنها منفذ السنة، واليها مصير العاقبة»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٧.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٨.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦.

(٣)
الدنيا قنطرة

الدنيا ليست هي الهدف، ولا هي الغاية والمنتهى، وانّما هي قنطرة يعبر عليها الانسان ليصل إلى داره ومقره الأساسي، قال أمير المؤمنين عليه السلام تأكيداً لهذا الأمر: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»[١].

وهي أيضاً: «دار ممرّ إلى دار مقرّ»[٢] وكما أوصى ابنه الحسن عليه السلام: «وانّك في منزل قلعة، ودار بلغة، وطريق إلى الآخرة»[٣].

وقد أتينا إلى الدنيا لنُختبر فيها ونُبتلى بها، قال عليه السلام: «انّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيّهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خُلقنا، ولا بالسعي فيها أُمرنا، وانّما وُضعنا فيها لنُبتلى بها»[٤].

لذا يجب على الانسان التزوّد من هذه الدار، إذ فيها الماء والكلأ،

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٥١.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٢٦.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

وبها تحرز الآخرة، قال عليه السلام: «وَلْـيُمهد لنفسه وقدمه، وليتزوّد مـن دار ظعنه لدار اقامته»[1].

وقال عليه السلام: «انّ الدنيا لم تخلق لكم دار مقـام، بـل خلقـت لكـم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار»[2].

وأخيراً قال عليه السلام: «ألا وانّ هـذه الـدنيا الـتي أصـبحتم تتمنّونهـا وترغبون فيهـا، وأصـبحت تغـضبكم وترضـيكم، ليـست بـداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له، ولا الذي دعيتم إليه، ألا وانّهـا ليـست بباقيـة لكم ولا تبقون عليها، وهـي وإن غـرّتكم منهـا فقـد حـذّرتكم شـرّها، فدعوا غرورها لتحذيرها، وأطماعها لتخويفها، وسابقوا فيهـا إلى الـدار التي دعيتم اليها، وانصرفوا بقلوبكم عنها، ولا يخننّ أحدكم خنين الأمة على ما زُوي عنه منها، واستتموا نعمة الله عليكم بالـصبر علـى طاعـة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه، ألا وانّه لا يضركم تـضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمـة ديـنكم، ألا وانّـه لا يـنفعكم بعـد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٣.

(٤)
ذم الدنيا

انّ ذم الدنيا من أبرز ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، فهو يصفها بالفناء والغدر والغرور، وغيرها من الصفات الذامة لها، كل ذلك للتزهيد فيها وانقطاع القلوب عنها، وفيما يلي نشير إلى أهم ما ورد عنه عليه السلام في هذا المجال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الدنيا دار مُني لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضرة، قد عُجّلت للطالب، والتبست بقلب الناظر»[1].

وقال عليه السلام: «ألا وانّ الدنيا قد تصرّمت وآذنت بانقضاء وتنكّر معروفها، وأدبرت حذّاء، فهي تحفز بالفناء سكانها، وتحذر بالموت جيرانها، وقد أمرّ منها ما كان حلواً، وكدر منها ما كان صفواً»[2].

وقال عليه السلام: «ألا وانّ الدنيا دار لا يُسلم منها الّا فيها، ولا ينجى بشيء كان لها، ابتلي الناس بها فتنة»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٢.

وقال عليه السلام: «ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته»[1].

وقال عليه السلام: «انّ الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر، فمن الفناء انّ الدهر مُوتر قوسه، لا تخطئ سهامه، ولا تؤسى جراحه، يرمي الحي بالموت، والصحيح بالسقم، والناجي بالعطب، آكل لا يشبع، وشارب لا ينقع، ومن العناء انّ المرء يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن، ثم يخرج إلى الله لا مالاً حمل ولا بناء نقل، ومن غيرها انّك ترى المرحوم مغبوطاً، والمغبوط مرحوماً، ليس ذلك الّا نعيماً زلّ وبؤساً نزل، ومن عبرها انّ المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله، فلا أمل يُدرك ولا مؤمّل يُترك، فسبحان الله ما أغرّ سرورها، وأظمأ ريّها، وأضحى فيئها، لا جاءٍ يُرد، ولا ماض يرتد»[2].

وقال عليه السلام: «أيها الناس انّما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا، مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص، لا تنالون منها نعمة الّا بفراق أخرى، ولا يعمّر معمّر منكم يوماً من عمره الّا بهدم آخر من أجَلِهِ، ولا تُجدد له زيادة في أكله الّا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر الّا مات له أثر، ولا يتجدّد له جديد الّا بعد أن يخلق له جديد، ولا تقوم له نابتة الّا وتسقط منه محصودة»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٥.

وقال عليه السلام: «أيّها الناس انّ الدنيا تغرّ المؤمّل لها والمخلد اليها، ولا تنفس بمن نافس فيها، وتغلب من غلب عليها، وايم الله ما كان قوم قط في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم الّا بذنوب اجترحوها، لانّ الله ليس بظلام للعبيد»[1].

وقال عليه السلام: «ولا تشيموا بارقها، ولا تسمعوا ناطقها، ولا تجيبوا ناعقها، ولا تستضيئوا باشراقها، ولا تفتنوا بأعلاقها، فانّ برقها خالب، ونطقها كاذب، وأموالها محروبة، وأعلاقها مسلوبة، ألا وهي المتصدّية العنون، والجامحة الحرون، والمائنة الخؤون، والجحود الكنود، والعنود الصدود، والحيود الميود، حالها انتقال، ووطأتها زلزال، وعزّها ذل، وجدّها هزل، وعلوّها سفل، دار حرب وسلب ونهب وعطب، أهلها على ساق وسياق ولحاق وفراق، قد تحيّرت مذاهبها، وأعجزت مهاربها، وخابت مطالبها، فأسلمتهم المعاقل، ولفظتهم المنازل، وأعيتهم المحاول، فمن ناج معقور، ولحم مجزور، وشلو مذبوح، ودم مسفوح، وعاض على يديه، وصافق لكفّيه، ومرتفق بخدّيه، وزار على رأيه، وراجع عن عزمه، وقد أدبرت الحيلة، وأقبلت الغيلة، ولات حين مناص»[2].

وقال عليه السلام: «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزّالها، أحوال مختلفة، وتارات متصرّفة، العيش فيها مذموم، والأمان منها معدوم، وانّما أهلها فيها أغراض مستهدفة،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩١.

ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها»[1].

وقال عليه السلام: «أما بعد فانّ الدنيا مَشغلة عن غيرها، ولم يُصب صاحبها شيئاً الّا فتحت له حرصاً عليها، ولهجاً بها، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها، ومن وراء ذلك فراق ما جمع، ونقض ما أبرم»[2].

وقال عليه السلام: «أما بعد فانّما مثل الدنيا مثل الحية، ليّن مسّها، قاتل سمّها، فأعرض عمّا يُعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها، وكن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها، فانّ صاحبها كلّما اطمأنّ فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور، أو إلى ايناس أزالته عنه إلى إيحاش»[3].

وقال عليه السلام: «مثل الدنيا كمثل الحية، ليّن مسّها والسمّ الناقع في جوفها، يهوي اليها الغرّ الجاهل، ويحذرها ذو اللب العاقل»[4].

وقال عليه السلام: «انّما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا، ونهب تبادره المصائب، ومع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص، ولا ينال العبد نعمة الّا بفراق اخرى، ولا يستقبل يوماً من عمره الّا بفراق آخر من أجله»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٥.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٩.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١١٣.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٨١.

وقال عليه السلام: «يا أيها النـاس، متـاع الـدنيا حطـام مـوبئ فتجنّبـوا مرعاه، قُلعتها أحظى من طمأنينتها، وبُلغتها أزكى مـن ثروتهـا، حكـم على مكثر منها بالفاقة، واُعين من غني عنها بالراحة، من راقـه زبرجهـا أعقبت ناظريه كمهاً، ومن استشعر الشغف بها ملأت ضـميره أشـجاناً، لهنّ رقص على سويداء قلبه، همٌّ يشغله وغمّ يحزنه، كذلك حتى يُؤخـذ بكظمه، فيلقى بالفـضاء منقطعـاً أبهـراه، هيّنـاً علـى الله فنـاؤه، وعلـى الاخوان إلقاؤه»[1].

وقال عليه السلام: «من هوان الدنيا على الله انّه لا يُعصى الّا فيهـا، ولا يُنال ما عنده الّا بتركها»[2].

وقال عليه السلام في صـفة الـدنيا: «تغـرّ وتـضرّ وتمـرّ، انّ الله تعـالى لم يرضها ثواباً لأوليائه، ولا عقاباً لأعدائه»[3].

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٥٧.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٧٥.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٠٣.

(٥)
مدح الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وحقّاً أقول، ما الدنيا غرّتك ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العظات، وآذنتك على سواء، ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك، والنقص في قوّتك أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرّك، ولرب ناصح لها عندك متهم، وصادق من خبرها مكذّب، ولئن تعرّفتها في الديار الخاوية، والربوع الخالية، لتجدنّها من حسن تذكيرك، وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك، والشحيح بك، ولنعم دار من لم يرض بها داراً، ومحلّ من لم يوطّنها محلاً، وانّ السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم»[1].

وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا: «أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغترّ بالدنيا ثم تذمها، أأنت المتجرّم عليها أم هي المتجرمة عليك، متى استهوتك، أم متى غرتك، أبمصارع آبائك من البلى، أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى، كم علّلت بكفيك، وكم مرّضت بيديك تبغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، غداة لا يغني عنهم دواؤك، ولا يُجدي عليهم بكاؤك، لم ينفع أحدهم إشفاقك، ولم

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٢.

تُسعف فيه بطلبتك، ولم تدفع عنه بقوّتك، قد مَثَّلَتْ لك به الدنيا نفسك، وبمصرعه مصرعك، انّ الدنيا دار صدق لمن صَدَقَها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلّى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمّها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها، فمثّلت لهم ببلائها البلاء، وشوّقتهم بسرورها إلى السرور، راحت بعافية، وابتكرت بفجيعة، ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذمّها رجال غداة الندامة، وحمدها آخرون يوم القيامة، ذكّرتهم الدنيا فذكروا، وحدّثتهم فصدّقوا، ووعظتهم فاتعظوا»[1].

يظهر من هذه النصوص وكذلك ما ورد في ذم الدنيا أمور:

ألف: الدنيا ليست هي القرار ولا المقصد والمنتهى، بل هي وسيلة ومقدمة لغيرها، ومدحها أو ذمها يتبع سلوك الانسان فيها، فالنظرة اليها نظرة آلية لا استقلالية، فالانسان إذا استفاد منها وأحرز بها الآخرة وتزوّد منها تكون بالنسبة إليه حسنة، ولكن إذا اغتر ولم يعتبر ولم يتزوّد تكون بالنسبة له مضلّة، ولو صحّ التعبير لقلنا انّها مرآة للانسان تعكس ما هو عليه من صلاح أو فساد، وبتبعه تكون ممدوحة أو مذمومة، وهذا ما أكّده أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه حيث قال مضافاً إلى ما مضى: «من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر اليها أعمته»[2].

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٢٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨١.

وقال عليه السلام: «انّما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره ويعلم انّ الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى اليها شاخص، والبصير منها متزوّد، والأعمى لها متزوّد»[1].

ب: انّ نصيب الانسان من هذه الدنيا الذي سينفعه في العقبى هو العمل الصالح فحسب، قال عليه السلام: «انّما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك»[2].

وقال عليه السلام: «لا خير في الدنيا الّا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات»[3].

وفي غير هذه الصورة، لا يكون له سوى الحسرة في يوم القيامة، قال عليه السلام: «واعلم انّ الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة، الّا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة»[4].

ولذا نرى المؤمن يحذر منها أشدّ الحذر، ولا يأخذ منها الّا بقدر الضرورة، قال عليه السلام: «انّما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار، ويقتات منها ببطن الاضطرار»[5].

ج: انّ الدنيا بالمعنى الثاني النابعة من سلوك الانسان الصحيح، يمكن أن تجتمع مع الآخرة، بل هي مقدمة للوصول اليها وسلّم الترقي

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٣.

٢- المصدر نفسه ، الكتاب رقم: ٣١.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٨٩ .

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٩.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٥٧.

نحوها، ولكن الدنيا بالمعنى الأول النابعة من الاغترار بها والخلود اليها، لا يمكنها أن تجتمع مع الآخرة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماش بينهما كلّما قرب من واحد بَعُدَ من الآخر، وهما بعد ضرّتان»[1].

د: ومن عجيب أمر الدنيا انّ من ركض نحوها ابتعدت عنه، ومن تركها أتته، قال عليه السلام: «من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته»[2].

وعلى نفس الضابطة فانّ من اشتغل واهتم بأمر الآخرة، سيصلح الله تعالى له أمر دنياه، قال عليه السلام: «من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه»[3] وقال عليه السلام: «من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه»[4]. وقال عليه السلام: «من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها»[5].

وعلى العكس من هذا فانّ من ترك الآخرة للوصول إلى الدنيا سيتضرر كثيراً، قال عليه السلام: «لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الّا فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه»[6].

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨١.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٨٤.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١١.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١٩.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٠١.

(٦)
الاعتبار من الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وخلّف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم، من مستمتعِ خلاقهم ومستفسحِ خناقهم، أرهقتهم المنايا دون الآمال، وشذّبهم عنها تخرّم الآجال، لم يمهدوا في سلامة الأبدان، ولم يعتبروا في أنف الأوان... عباد الله أين الذين عمّروا فنعموا، وعلّموا ففهموا، وأُنظروا فلهوا، وسُلّموا فنسوا، أُمهلوا طويلاً، ومُنحوا جميلاً، وحُذّروا أليماً، ووُعدوا جسيماً»[1].

وقال عليه السلام: «فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع، واعتبروا بالآي السواطع، وازدجروا بالنذر البوالغ، وانتفعوا بالذكر والمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وانقطعت منكم علائق الامنية، ودهمتكم مفظعات الامور، والسياقة إلى الورد المورود»[2].

وقال عليه السلام: «فاعتبروا عباد الله، واذكروا تيك التي آباؤكم بها مرتهنون، وعليها محاسبون، ولعمري ما تقدمت بكم ولا بهم العهود، ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون، وما أنتم اليوم من يوم

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٤.

كنتم في أصلابهم ببعيد»[1].

وقال عليه السلام: «أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر، وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر، إن كنتم تعقلون، أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، والى الخلف الباقي لا يبقون، أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى: فميّت يُبكى، وآخر يُعزّى، وصريع مبتلى، وعائد يعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه»[2].

وقال عليه السلام: «رحم الله امرأً تفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصر، فكأنّ ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأنّ ما هو كائن من الآخرة عمّا قليل لم يزل، وكل معدود منقض، وكل متوقع آت، وكل آت قريب دان»[3].

وقال عليه السلام: «ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدّ عديداً، وأكثف جنوداً، تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد، وآثروها أي ايثار، ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ، ولا ظهر قاطع، فهل بلغكم انّ الدنيا سخت لهم نفساً بفدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالفوادح، وأوهنتهم بالقوارع، وضعضعتهم بالنوائب، وعفّرتهم للمناخر، ووطئتهم بالمناسم، وأعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها وآثرها وأخلد اليها

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٢.

حين ظعنوا عنها لفراق الأبد، هل زوّدتهم الّا السغب، أو أحلّتهم الّا الضنك، أو نوّرت لهم الّا الظلمة، أو أعقبتهم الّا الندامة، أفهذه تؤثرون أم عليها تطمئنون، أم عليها تحرصون، فبئست الدار لمن لم يتهمها، ولم يكن فيها على وجل منها»[1].

ومن كلام له عليه السلام قبل موته: «وستعقبون منّي جثة خلّاء، ساكنة بعد حراك، وصامتة بعد نطق، ليعظكم هدوّي، وخفوت إطراقي، وسكون أطرافي، فانّه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع»[2].

وقال عليه السلام: «فلينتفع امرؤ بنفسه، فانّما البصير من سمع فتفكّر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثم سلك جدداً واضحاً يتجنّب فيه الصرعة في المهاوي، والضلال في المغاوي »[3].

وقال عليه السلام: «انّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة، أين الفراعنة وأبناء الفراعنة، أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، وأطفأوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبارين، أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الالوف، وعسكروا العساكر، ومدّنوا المدائن؟!»[4].

وقال عليه السلام: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس، إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة الآف سنة، لا يُدرى أمن

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٩.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

سنيّ الدنيا أم سنيّ الآخرة، عن كبر ساعة واحدة، فمن بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته، كلّا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، انّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في اباحة حمى حرّمه على العالمين»[1].

وقال عليه السلام: «واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها، فانّ بعضها يشبه بعضاً، وآخرها لاحق بأوّلها، وكلها حائل مفارق»[2].

وقال عليه السلام: «معاشر الناس اتقوا الله، فكم من مؤمّل ما لا يبلغه، وبان ما لا يسكنه، وجامع ما سوف يتركه، ولعلّه من باطل جمعه، ومن حق منعه، أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباء بوزره وقدم على ربه آسفاً لاهفاً، قد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين»[3].

وختاماً يجمع هذا كله قوله عليه السلام: «ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار»[4].

والخلاصة انّ أوجه الاعتبار كثيرة، منها الاعتبار بأحوال الماضين، وما كانوا عليه وما صاروا إليه، ومنها أحوال الموتى، ومنها تقلّبات الدنيا وعدم بقائها على وتيرة واحدة، وكذلك سرعة انقضائها، ومنها أحوال ابليس وما آل أمره إليه، وانّه ليس بين الله وبين أحد من خلقه هوادة، وانّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض واحد.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٣٤.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٨٨.

(٧)
الاغترار بالدنيا

من الأمور التي حذّر منها أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً، هو عدم الاغترار بالدنيا، وهذا ما دأب عليه دوماً وأكثر منه بأدنى حجة وفي أكثر مناسبة، فبيّن غدر الدنيا وفناءها وسرعة انقضائها وغيرها من الصفات المذمومة، ونبّه على عدم الاغترار بها قائلاً: «أيّها الناس، انّ الدنيا تغرّ المؤمّل لها والمخلد اليها، ولا تنفس بمن نافس فيها، وتغلب من غلب عليها»[١].

وقال عليه السلام في وصف أبناء الدنيا: «أنسوا بالدنيا فغرّتهم، ووثقوا بها فصرعتهم»[٢].

وقال عليه السلام: «ولا تغرّنكم الدنيا كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية، والقرون الخالية، الذين احتلبوا درتها، وأصابوا غرتها، وأفنوا عدتها، وأخلقوا جدّتها»[٣].

وقال عليه السلام مخاطباً الدنيا: «أين القرون الذين غررتهم بمداعبكِ،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

أين الامم الذين فتنتهم بزخارفكِ، هاهم رهائن القبور، ومضامين اللحود، والله لو كنتِ شخصاً مرئياً وقالباً حسياً، لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني، وامم ألقيتِهِمْ في المهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف، وأوردتهم موارد البلاء»[1].

ومن نتائج الاغترار بالدنيا امور:

ألف: نسيان الله تعالى، قال عليه السلام: «من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها من قلبه، آثرها على الله، فانقطع اليها وصار عبداً لها»[2].

ب: ترك الهدى والبينات، قال عليه السلام في وصف أهل البغي الذين حاربهم: «فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون، كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] بلى والله سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها»[4].

ج: التمسك بالدنيا، قال عليه السلام: «ومثل من اغترّ بها كمثل قوم

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

٣- القصص: ٨٣.

٤- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣.

كانوا بمنزل خصيب، فنبا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره اليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه»[1].

وقال عليه السلام: «قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة»[2].

د: نسيان الموت، قال عليه السلام وقد تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك: «كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنّ الحق فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذي نرى من الأموات سفرٌ عمّا قليل الينا راجعون، نبوّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنّا مخلّدون، قد نسينا كل واعظ وواعظة، ورمينا بكل جائحة»[3].

هـ: الغفلة، قال عليه السلام: «فانّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم، لجزعتم ووهلتم، وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب»[4].

وقال عليه السلام: «ألا وانّي لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها»[5].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١١٦.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٨.

وقال عليه السلام: «ولو تعلمون ما أعلم ممّا طُوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصعدات، تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها، ولهمّت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها، ولكنكم نسيتم ما ذُكّرتم، وأمنتم ما حُذّرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتت عليكم أمركم»[1].

وقال عليه السلام: «كم من مستدرج بالاحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله أحداً بمثل الاملاء له»[2].

وقال عليه السلام: «يا أسرى الرغبة أقصروا فانّ المعرِّج على الدنيا لا يروعه منها الّا صريف أنياب الحدثان»[3].

وأخيراً ندعو الله تعالى ونقول كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٥.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١١٠.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٤٩.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦١.

(٨)
التحذير من الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أمّا بعد فانّي أُحذّركم الدنيا، فانّها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، وتحببت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حَبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرّارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكّالة، غوّالة، لا تعدو – إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها – أن تكون كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[1].

لم يكن امرؤ منها في حبرة الا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرّائها بطناً الّا منحته من ضرّائها ظهراً، ولم تَطُلَّه فيها ديمة رخاء الّا هتنت عليه مزنة بلاء، وحريّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة، وإن جانب منها اعذوذب واحلولى، أمرّ منها جانب فأوبى.

لا ينال امرؤ من غضارتها رغباً، الّا أرهقته من نوائبها تعباً، ولا يمسي منها في جناح أمن، الّا أصبح على قوادم خوف، غرارة غرور ما فيها، فانية فان من عليها، لا خير في شيء من أزوادها الّا التقوى.

١- الكهف: ٤٥.

من أقل منها استكثر ممّا يؤمنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه، وزال عمّا قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعته، وذي أبّهة قد جعلته حقيراً، وذي نخوة قد ردّته ذليلاً، سلطانها دول، وعيشها رنق، وعذبها أجاج، وحلوها صبر، وغذاؤها سمام، وأسبابها رمام، حيّها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وموفورها منكوب، وجارها محروب.

ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدّ عديداً، وأكثف جنوداً، تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد، وآثروها أيّ إيثار، ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلِّغ ولا ظهر قاطع.

فهل بلغكم انّ الدنيا سخت لهم نفساً بفدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالفوادح، وأوهنتهم بالقوارع، وضعضعتهم بالنوائب، وعفّرتهم للمناخر، ووطئتهم بالمناسم، وأعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها، وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد.

هل زودتهم الّا السغب؟ أو أحلّتهم الّا الضنك؟ أو نوّرت لهم الّا الظلمة؟ أو أعقبتهم الّا الندامة؟ أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الدّار لمن لم يتهمها، ولم يكن على وجل منها.

فاعلموا – وأنتم تعلمون – بأنّكم تاركوها وظاعنون عنها، واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشدّ منّا قوّة، حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات جيران، فهم جيران لا يجيبون

داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبةً، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربةً، وبالنور ظلمةً، فجاؤوها كما فارقوها، حفاةً عراةً، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية، كما قال الله سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1]»[2].

وقال عليه السلام: «وأحذّركم الدنيا، فانّها منزل قلعة، وليست بدار نجعة، قد تزيّنت بغرورها، وغرّت بزينتها، دار هانت على ربّها، فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرّها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرّها، لم يصفها الله لأوليائه، ولم يَضِنّ بها على أعدائه، خيرها زهيد، وشرّها عتيد، وجمعها ينفد، وملكها يُسلب، وعامرها يخرب. فما خير دار تُنقض نقض البناء، وعمر يفنى فناء الزاد، ومدّة تنقطع انقطاع السّير»[3].

وقال عليه السلام: «... ووصف لكم الدنيا وانقطاعها، وزوالها وانتقالها، فأعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها، أقرب دار من سخط الله، وأبعدها من رضوان الله! فغضوا عنكم – عباد الله – غمومها وأشغالها، لما قد أيقنتم به من فراقها وتصرّف حالاتها.

١- الأنبياء: ١٠٤.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢.

فاحذروها حذر الشفيق الناصح، والمجدّ الكادح، واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم: قد تزايلت أوصالهم، وزالت أسماعهم وأبصارهم، وذهب شرفهم وعزّهم، وانقطع سرورهم ونعيمهم؛ فبدّلوا بقرب الأولاد فقدها، وبصحبة الأزواج مفارقتها. لا يتفاخرون، ولا يتناصرون، ولا يتناسلون، ولا يتزاورون، ولا يتجاورون.

فاحذروا، عباد الله، حذر الغالب لنفسه، المانع لشهوته، النّاظر بعقله؛ فانّ الأمر واضح، والعلم قائم، والطريق جدد، والسبيل قصد»[1].

وقال عليه السلام: «واحذّركم الدنيا، فانّها دار شخوص، ومحلّة تنغيص، ساكنها ظاعن، وقاطنها بائن، تميد بأهلها مَيَدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار، فمنهم الغرق الوبق، ومنهم الناجي على متون الأمواج، تحفزه الرياح بأذيالها، وتحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرك، وما نجا منها فالى مهلك»[2].

وقال عليه السلام: «فاحذروا الدنيا فانّها غدّارة غرّارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رضاؤها، ولا ينقضي عناؤها، ولا يركد بلاؤها»[3].

وقال عليه السلام: «اتق الله في كل صباح ومساء، وخف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال، واعلم انّك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه، سَمَت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٦.

(٩)
نبذ الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرظ، وقراضة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة، فانّها قد رفضت من كان أشغف بها منكم»[1].

وقال عليه السلام: «اوصيكم عباد الله بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبّوا تركها، والمبلية لأجسادكم وإن كنتم تحبون تجديدها، فانّما مثلكم ومثلها كسَفْر سلكوا سبيلاً فكأنّهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنّهم قد بلغوه، وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري اليها حتى يبلغها، وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها، فلا تنافسوا في عزّ الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرّائها وبؤسها، فانّ عزّها وفخرها إلى انقطاع، وزينتها ونعيمها إلى زوال، وضرّاءها وبؤسها إلى

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٢.

نفاد، وكل مدة فيها إلى انتهاء، وكل حيّ فيها إلى فناء»[1].

وقال عليه السلام: «انّ السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم»[2].

وقال عليه السلام: «فقطّعوا علائق الدنيا، واستظهروا بزاد التقوى»[3].

وقال عليه السلام: «ألا حرّ يدع هذه اللماظة لأهلها، انّه ليس لأنفسكم ثمن الّا الجنة، فلا تبيعوها الّا بها»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٥.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٤٤.

(١٠)
سرعة انقضاء الدنيا

انّ الفترة الزمنية التي يعيشها الانسان في الدنيا بالنسبة إلى عالم الخلود الذي سيرحل إليه، لا تكون الّا قليلة، ولذا جاء في الذكر الحكيم: ﴿قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعادِّينَ﴾[١] وكما في الحديث الشريف: «الدنيا ساعة فاجعلها في طاعة»[٢].

انّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام مشحون بتذكير سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت، فيقول عليه السلام: «انّ غداً من اليوم قريب، ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهور، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر»[٣].

ويقول أيضاً: «الأمر قريب والاصطحاب قليل»[٤].

ويقول: «الرحيل وشيك»[٥] «ما أقرب الحيّ من الميت للحاقه به،

١- المؤمنون: ١١٢ - ١١٣.

٢- عوالي اللئالي لابن أبي جمهور ١: ٢٨٥ ح ١٣١.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٨.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٦٩.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٧٧.

وأبعد الميت من الحيّ لانقطاعه عنه»[1] «ولينظر امرؤٌ في قصير أيامه، وقليل مقامه، في منزل حتى يستبدل به منزلاً»[2] «اذا كنت في إدبار والموت في اقبال فما أسرع الملتقى»[3] ويحذرنا عليه السلام ويقول: «فاحذروا عباد الله الموت وقربه»[4] ويقول لابنه الحسن عليه السلام: «وكأنّك عن قليل صرت كأحدهم»[5].

والمتصفح لنهج البلاغة يجد الكثير من هذه العبارات التي تذكّرنا بقرب الرحيل وسرعة انقضاء الدنيا، وإليك بعضها:

«أما بعد فانّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وانّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع»[6].

«فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وانقطعت منكم علائق الامنية، ودهمتكم مفظعات الأمور، والسياقة إلى الورد المورود»[7].

«فانّها [أي الدنيا] والله عمّا قليل تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن... فلا يغرنّكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها»[8].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٤.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٩٠.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٨.

٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٤.

٨- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٢.

«وما هو الّا الموت أسمع داعيه، وأعجل حاديه»[1].

«ما أقرب اليوم من تباشير غد»[2].

«واعلموا انّ ملاحظ المنية نحوكم دانية، وكأنّكم بمخالبها وقد نشبت فيكم، وقد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ومعضلات المحذور»[3].

ولترسيخ هذه الفكرة في أذهاننا وقلوبنا يستخدم أميرالمؤمنين عليه السلام اسلوب التشبيه، فتارة يشبّه سرعة انقضاء الدنيا ببقية الماء في الاناء ويقول: «ألا وانّ الدنيا قد ولّت حذاء، فلم يبق منها الّا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها»[4] «ألا وانّ الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء... فلم يبق منها الّا سملة كسملة الإداوة، أو جرعة كجرعة المقلة، لو تمزّزها الصديان لم ينقع»[5].

وتارة يشبّه سرعة انقضائها بالظل ويقول: «فانّها عند ذوي العقول كفيء الظل، بينا تراه سابغاً حتى قلص، وزائداً حتى نقص»[6].

واخرى بالمسافر فيقول: «فانّما مثلكم ومثلها كسَفْرٍ سلكوا سبيلاً

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٢.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٢.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٢.

فكأنّهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنّهم قد بلغوه، وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها»[1] «فانّما أنتم كركب وقوف، لا يدرون متى يؤمرون بالسير»[2]. «انّ أهل الدنيا كركب بينا هم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا»[3] «وأنتم بنو سبيل على سَفَر من دار ليست بداركم»[4].

وأخيراً التمثيل بالليل والنهار ومجيء الشمس والقمر، إذ انّ «الشمس والقمر دائبان في مرضاته، يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد»[5]. «وانّ غائباً يحدوه الجديدان: الليل والنهار، لحريّ بسرعة الأوبة»[6].

ويقول لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «واعلم انّ من كانت مطيته الليل والنهار، فانّه يُسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً»[7]. ويقول عليه السلام: «وانصرمت الدنيا بأهلها، وأخرجتهم من حضنها، فكانت كيوم مضى وشهر انقضى»[8].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٧.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٠٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٩.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

٧- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٨- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

فلماذا هذه الغفلة ياانسان، ألا تعلم انّ «نفس المرء خطاه إلى أجله»[1] و«رب مستقبل يوم ليس بمستدبره، ومغبوط في أول ليله قامت بواكيه في آخره»[2] وليس هذا الّا من طول الأمل والاغترار بالدنيا، إذ «لو رأى العبد الأجل ومسيره لأبغض الأمل وغروره»[3].

وهذا ما ينبهنا عليه أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: «قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة»[4]. وهذا هو سبب هلاك الماضين حيث يقول عليه السلام: «انّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم، وتغيّب آجالهم»[5].

فعلينا أن نستعد ونخشى حلول الموت ونحن في غفلة عنه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل».

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٦٩.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٧٠.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٢٥.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٧.

(١١)
أصناف الناس في الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض الّا مهانة نفسه، وكلالة حدّه، ونضيض وفره ومنهم المصلت لسيفه، والمعلن بشرّه، والمجلب بخيله ورجله، قد أشرط نفسه، وأوبق دينه لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده، أو منبر يفرعه. ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، ومما لك عند الله عوضاً.

ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمّر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية.

ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه، وانقطاع سببه، فقصرته الحال على حاله، فتحلّى باسم القناعة، وتزيّن بلباس أهل الزهادة، وليس من ذلك في مراح ولا مغدىً.

وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادٍّ، وخائف مقموع، وساكت مكعوم، وداع مخلص، وثكلان موجع، قد أخملتهم التّقيّة، وشملتهم الذّلّة فهم في بحر

أجاج، أفواههم ضامزةٌ، وقلوبهم قرحة، قد وعظوا حتى ملّوا، وقهروا حتى ذلّوا، وقتلوا حتى قلّوا.

فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرض، وقراضة الجلم، واتّعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم؛ وارفضوها ذميمةً، فانّها قد رفضت من كان أشغف بها منكم»[1].

وقال عليه السلام لكميل: «الناس ثلاثة: فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

يا كميل، العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق، وصنيع المال يزول بزواله.

ياكميل بن زياد، معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الانسان الطاعة في حياته، وجميل الاحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه.

ياكميل بن زياد، هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعُلماء باقون ما بقي الدّهر: أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

ها انّ هاهنا لعلماً جمّاً (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملة، بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدِّين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ، لا بصيرة

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٢.

له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأوّل عارض من شبهة.

ألا لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللّذّة، سلس القياد للشّهوة، أو مغرماً بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السّائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته.

وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك – والله – الأقلّون عدداً، والأعظمون قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيّناته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم»[1].

وقال عليه السلام: «الناس في الدنيا عاملان: عامل عمل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفني عمره في منفعة غيره.

وعامل عمل في الدنيا لما بعدها، فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل، فأحرز الحظّين معاً، وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله، لا يسأل الله حاجةً فيمنعه»[2].

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣٧.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٦٠.

وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري: «ياجابر، قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلّم، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه؛ فإذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلّم، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه.

ياجابر، من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب عرّضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم لله فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء»[1].

وقال عليه السلام: «الدنيا دار ممرّ إلى دار مقرّ، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها»[2].

وقال عليه السلام: «لا خير في الدنيا الّا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات»[3].

وقال عليه السلام: «انّ أبغض الخلائق إلى الله تعالى رجلان: رجل وكَلَه الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشعوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمّالٌ خطايا غيره، رهنٌ بخطيئته.

ورجل قمش جهلاً، موضع في جهال الأمّة، غار في أغباش

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٦٢.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٢٦.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٨٩.

الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به، بكّر فاستكثر من جمع، ما قلّ منه خيرٌ ممّا كثر، حتى إذا ارتوى من ماء آجن، وأكثر من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشواً رثّاً من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت: لا يدري أصاب أم أخطأ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب.

جاهل خبّاط جهلات، عاش ركّاب عشوات، لم يعضَّ على العلم بضرس قاطع، يُذري الروايات إذراء الريح الهشيم، لا مليٌّ – والله – بإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما فوض إليه، لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره، ولا يرى انّ من وراء ما بلغ منه مذهباً لغيره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعجّ منه المواريث.

إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً، ويموتون ضلّالاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرِّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر»[1].

وقال عليه السلام: «عباد الله، انّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه، وانّ

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧.

أغشّهم لنفسه أعصاهم لربه»[1].

وقال عليه السلام: «عباد الله انّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، وأعدّ القرى ليومه النازل به، فقرّب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد، نظر فأبصر، وذكر فاستكثر، وارتوى من عذب فرات سهِّلت له موارده، فشرب نهلاً، وسلك سبيلاً جدداً.

قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلّى من الهموم، إلّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى.

قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس، قد نصب نفسه لله – سبحانه – في أرفع الأمور، من إصدار كل وارد عليه، وتصيير كل فرع إلى أصله. مصباح ظلمات، كشّاف غشوات، مفتاح مبهمات، دفّاع معضلات، دليل فلوات، يقول فيفهم، ويسكت فيسلم.

قد أخلص لله فاستخلصه، فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحقّ ويعمل به، لا يدع للخير غايةً إلّا أمّها، ولا مظنّةً إلّا قصدها، قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله، وينزل حيث كان منزله.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.

وآخر قد تسمّى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلّال، ونصب للنّاس أشراكاً من حبال غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحقّ على أهوائه، يؤمن من العظائم، ويهوّن كبير الجرائم، يقول: أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول: أعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، فذلك ميّت الأحياء»[1].

وقال عليه السلام: «انّ من أبغض الرجال إلى الله لعبد وكله الله إلى نفسه، جائر عن قصد السبيل، سائر بغير دليل، إن دُعي إلى حرث الدنيا عمل، والى حرث الآخرة كسل، كأنّ ما عمل له واجب عليه، وكأنّ ما وَنى فيه ساقط عنه»[2].

وقال عليه السلام: «انّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه – وإن نقصه وكرثه – من الباطل وإن جرّ إليه فائدة وزاده»[3].

وقال عليه السلام: «انّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدِيَ وَهَدَى، فأقام سُنّة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإنّ السنن لنيّرة، لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام، وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضَلَّ وضُلَّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة وإنّي سمعت

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها»»[1].

وقال عليه السلام: «إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله، فورّثه رجلاً فأنفقه في طاعة الله سبحانه، فدخل به الجنة، ودخل الأوّل به النار»[2].

وقال عليه السلام: «إنّ أخسر الناس صفقةً، وأخيبهم سعياً، رجل أخلق بدنه في طلب آماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرته، وقدم على الآخرة بتبعته»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٤.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١٧.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١٨.

(١٢)
ضعف الإنسان في الدنيا

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد عُلّق بنياط هذا الإنسان بضعةٌ هي أعجب ما فيه: وذلك القلب، وله موادٌ من الحكمة وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرّجاء أذلّه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسي التحفّظ، إن غاله الخوف شغله الحذر، وإن اتّسع له الأمن استلبته الغرة، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته الفاقة شغله البلاء، وإن جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظّته البطنة، فكلّ تقصير به مضرّ، وكلّ إفراط له مفسد»[1].

وقال عليه السلام: «ما لابن آدم والفخر، أوّله نطفة، وآخره جيفة، ولا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه»[2].

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٠٣.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٤١.

(١٣)
حب الدنيا

صحيح انّ «الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حبه امّه»[١] ولكن ليس هذا معناه الانخداع بالدنيا والاغترار بها الملازم لنسيان الآخرة، بل معناه انّ الناس خلقوا من تراب الدنيا، واودعت فيهم غرائز وشهوات لتلبية حاجاتهم الطبيعية، واستخدامها في الخيرات والمبرات، وهذه العلقة الجزئية لا ضير فيها إذ هي سلّم الكمال.

والمذموم انّما هو الانخداع والاغترار بها، وهذا هو ما قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: «أعظم الخطايا حب الدنيا»[٢] وقال عليه السلام: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[٣] وقال عليه السلام: «الوله بالدنيا أعظم فتنة»[٤].

نستفيد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في نهج البلاغة وغيرها انّه ينتج من حب الدنيا مضار ومهالك كثيرة، نشير إلى أهمّها فيما يلي:

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٠٣.

٢- تصنيف غرر الحكم للآمدي رقم: ٢٤٦١.

٣- المصدر نفسه: ٢٥١٩.

٤- المصدر نفسه: ٢٤٤٨.

ألف: نسيان الله تعالى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها في قلبه، آثرها على الله تعالى، فانقطع اليها وصار عبداً لها»[1] وقال عليه السلام: «كيف يدّعي حب الله من سكن قلبه حب الدنيا»[2]. وقال عليه السلام: «إن كنتم تحبون الله فأخرجوا من قلوبكم حب الدنيا»[3].

ب: نسيان الآخرة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولّاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماش بينهما كلّما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما بعد ضرّتان»[4]. وقال عليه السلام: «كيف يعمل للآخرة المشغول بالدنيا»[5]. وقال عليه السلام: «لا تجتمع الآخرة والدنيا»[6].

ج: الابتلاء والشقاء والهلاك، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والوله بالدنيا، فانّها تورثك الشقاء والبلاء، وتحدوك على بيع البقاء بالفناء»[7]. وقال عليه السلام: «سبب الشقاء حب الدنيا»[8]. وقال عليه السلام:

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٠.

٢- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٢٥١٢.

٣- المصدر نفسه: ٢٥١٠.

٤- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٨.

٥- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٢٤٨٧.

٦- المصدر نفسه: ٢٥٠٧.

٧- المصدر نفسه: ٢٤٦٠.

٨- المصدر نفسه: ٢٤٦٣.

«كلّما ازداد المرء بالدنيا شغلاً وزاد بها ولهاً، أوردته المسالك وأوقعته في المهالك»[1].

د: البعد عن التقوى والتورط في الآثام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حرام على كل قلب متولّه بالدنيا أن يسكنه التقوى»[2].

وقال عليه السلام: «حب الدنيا يوجب الطمع»[3].

وقال عليه السلام: «من لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث: هم لا يغنيه، وحرص لا يتركه، وأمل لا يدركه»[4].

١- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٢٤٦٥.

٢- المصدر نفسه: ٢٥٢١.

٣- المصدر نفسه: ٢٥٢٠.

٤- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢١٨.

(١٤)

ضابطة

الفرح والسرور في الدنيا

يمرّ الانسان في حياته لا محالة بما يسرّه أو يسوؤه، وهذا لا ينفك عن الانسان، وهنا يعطينا أمير المؤمنين عليه السلام ضابطة جميلة لتعديل الفرح والسرور والمساءة، إذ انّه عليه السلام ينتهز الفرصة دوماً لينقل الانسان إلى ما وراء هذا الظاهر الخدّاع، وينبّهه انّ هذا الظل الزائل لا يستحق كثير فرح أو مساءة فيه، والعمدة هو الآخرة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد، فانّ المرء قد يسّره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً، وليكن همّك فيما بعد الموت»[1].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٢.

وقال عليه السلام: «أما بعد، فانّ العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه، فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذّة أو شفاء غيظ، ولكن إطفاء باطل أو إحياء حق، وليكن سرورك بما قدّمت، وأسفك على ما خلّفت، وهمّك فيما بعد الموت»[1].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٦.

(١٥)
أهل الدنيا

لأهل الدنيا علامات وسمات وردت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهي خير ميزان لنا لنعرف هل انّنا من أهل الدنيا أو من أهل الآخرة؟! ونعالج الخلل مهما أمكن قبل الفوت وحلول الموت.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمّر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية، ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه، وانقطاع سببه، فقصرته الحال على حاله، فتحلّى باسم القناعة، وتزيّن بلباس أهل الزهادة، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى»[1].

وقال عليه السلام: «حتى إذا قام اعتداله، واستوى مثاله، نفر مستكبراً، وخبط سادراً، ماتحاً في غرب هواه، كادحاً سعياً لدنياه، في لذّات طربه، وبدوات أربه، لا يحتسب رزية، ولا يخشع تقية، فمات في فتنته غريراً، وعاش في هفوته أسيراً، لم يُفد عوضاً ولم يقض مفترضاً»[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

وقال عليه السلام: «أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبّها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليه نفسه، فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها، حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها، لا ينزجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ»[1].

وقال عليه السلام: «ازدحموا على الحطام، وتشاحّوا على الحرام، ورُفع لهم عَلَم الجنة والنار، فصرفوا عن الجنة وجوههم، وأقبلوا إلى النار بأعمالهم، دعاهم ربهم فنفروا وولّوا، ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا»[2].

وقال عليه السلام: «يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرّأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء»[3].

وقال عليه السلام: «من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها من قلبه، آثرها على الله، فانقطع اليها وصار عبداً لها»[4].

وقال عليه السلام: «أيّها الغافلون غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم، مالي أراكم عن الله ذاهبين، والى غيره راغبين، كأنّكم نَعَمٌ أراح

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

بها سائم إلى مرعى وبي، ومشرب دويّ، وانّما هي كالمعلوفة للمُدى، لا تعرف ماذا يراد بها، إذا احسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها»[1].

وقال عليه السلام: «وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها، فقد نبّأك الله عنها، ونعت لك نفسها، وتكشّفت لك عن مساويها، فانّما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهرّ بعضها بعضاً، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها، نَعَم معقّلة، واخرى مهملة، قد أضلّت عقولها، وركبت مجهولها، سروح عاهة بواد وعث، ليس لها راع يقيمها، ولا مسيم يسيمها، سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها رباً، فلعبت بهم ولعبوا بها، ونسوا ما وراءها»[2].

وقال عليه السلام: «أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام»[3].

وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه: «لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجّي التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أُعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٥.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٥٩.

الموت له، إن سقم ظل نادماً، وإن صحّ أمـن لاهيـاً، يعجـب بنفـسه إذا عوفي، ويقنط إذا ابتلي، إن أصـابه بـلاء دعـا مـضطراً، وإن نالـه رخـاء أعرض مغتراً، تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبهـا علـى مـا يـستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبـه، ويرجـو لنفـسه بـأكثر مـن عملـه، إن استغنى بطر وفتن، وإن افتقر قنط ووهن، يقـصّر إذا عمـل، ويبـالغ إذا سأل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملّة، يصف العبرة ولا يعتبر، ويبـالغ في الموعظـة ولا يتعظ، فهو بالقول مدلّ، ومن العمل مقل، ينافس فيما يفنـى، ويـسامح فيما يبقى، يرى الغنم مغرماً، والغـرم مغنمـاً، يخـشى المـوت ولا يبـادر الفوت، يستعظم مـن معـصية غـيره مـا يـستقل أكثـر منـه مـن نفـسه، ويستكثر من طاعته ما يحقر من طاعة غيره، فهـو علـى النـاس طـاعن، ولنفسه مداهن، اللغو مع الأغنياء أحب إليـه مـن الـذكر مـع الفقـراء، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره ويغوي نفسه، فهو يطاع ويعصي، ويستوفي ولا يوفي، ويخشى الخلـق في غـير ربـه، ولا يخشى ربّه في خلقه»[1].

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٤٠.

(١٦)

الأنبياء عليهم السلام والدنيا

يشير أمير المؤمنين عليه السلام - على ما ورد في نهج البلاغة – إلى زهد بعض الأنبياء عليهم السلام في الدنيا، وهم كل من موسى وداود وعيسى عليهم السلام، وذلك تنبيهاً لنا على ما كانوا عليه، لنتأسّى بهم ونخطو خطاهم، قال بعدما ذكر النبي صلى الله عليه وآله:

«وإن شئت ثنيّت بموسى كليم الله إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1] والله ما سأله الّا خبزاً يأكله، لانّه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل تُرى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشذّب لحمه.

وإن شئت ثلّثتُ بداود صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

١- القصص: ٢٤.

وإن شئت قلتُ في عيسى بن مـريم، فلقـد كـان يتوسّـد الحجـر، ويلبس الخشن، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليـل القمـر، وظلالـه في الشتاء مشارق الأرض ومغاربهـا، وفاكهتـه وريحانـه مـا تنبـت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولـد يحونـه، ولا مـال يلفتـه، ولا طمع يذلّه، دابته رجلاه، وخادمه يداه»[1].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٠.

(١٧)
النبي صلى الله عليه وآله والدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي صلى الله عليه وآله: «قد حقّر الدنيا وصغّرها، وأهون بها وهوّنها، وعلم انّ الله تعالى زواها عنه اختياراً، وبسطها لغيره احتقاراً، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، أو يرجو فيها مقاماً»[1].

وقال عليه السلام: «ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الاسوة، ودليل لك على ذمّ الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قُبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، وفُطم من رضاعها وزُوي عن زخارفها... فتأس بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله فانّ فيه أسوة لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى – وأحب العباد إلى الله المتأسّي بنبيه، والمقتصّ لأثره – قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً، أهظم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، عُرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقّر شيئاً فحقّره، وصغّر شيئاً فصغّره. ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله، وتعظيمنا ما صغّر الله، لكفى به شقاقاً لله، ومحادّة عن أمر الله.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٨.

ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويُردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: «يا فلانة – لإحدى أزواجه – غيّبيه عنّي، فانّي إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها».

فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيّبها عن البصر. وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده.

ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها: إذ جاع فيها مع خاصّته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته. فلينظر ناظر بعقله: أكرم الله محمداً عليه السلام بذلك أم أهانه! فإن قال: أهانه، فقد كذب – والله العظيم – وإن قال: أكرمه، فليعلم انّ الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه.

فتأسى متأسٍّ بنبيه، واقتصّ أثره، وولج مولجه، وإلّا فلا يأمن الهلكة، فإنّ الله عزوجل جعل محمداً ﷺ علماً للساعة، ومبشراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة. خرج من الدنيا خميصاً، وورد الاخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر، حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربّه، فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه»[1].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٠.

(١٨)
علي عليه السلام والدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألّا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[١].

وقال عليه السلام: «أنا كاب الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها»[٢].

وقال عليه السلام: «والله لقد رقّعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: أُعزب عنّي فعند الصباح يحمد القوم السرى»[٣].

وقال عليه السلام: «انّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى، ولذّة لا تبقى»[1].

وقال عليه السلام: «ألا وانّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حُزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفطة مقرة... ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القِدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أُشاركهم في مكاره الدهر، أوأكون اسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها تكترش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها... اليك عنّي يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وأفلتّ من حبائلك، واجتنبت الذهاب في مداحضك... اعزبي عنّي فوالله لا أذلّ لك فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني، وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله عزوجل،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٣.

لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها، مستفرغة دموعها. أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عُشبها فتربض، ويأكل عليّ من زاده فيهجع، قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة، والسائمة المرعية»[1].

وفي خبر ضرار بن ضمرة لما دخل على معاوية وأمره أن يصف له علياً عليه السلام، فقال: انّه رآه في الليل وهو يبكي ويقول: «يا دنيا يادنيا، إليك عنّي، أبي تعرّضت أم اليّ تشوّقت؟ لاحان حينك، هيهات غُرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبُعد السفر، وعظيم المورد»[2].

وقال عليه السلام: «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم»[3].

* * * *

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٥.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٧٢.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٢٧.

إلى هنا قد انتهينا من ذكر ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب نهج البلاغة من ذكر الدنيا، فهذه هي الدنيا وحقيقة حالها، وهـذا حال الأنبياء والأوصياء والأولياء في التعامل معها، نـسأل الله تعـالى أن يوفقنا للاستنان بهم، والأخذ منها بقدر الضرورة، والتزوّد فيها للآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصـلى الله علـى سـيدنا محمـد وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام .

الفهرس

العنوان	الصفحة
تمهيد	٥
(١) **خلق العالم**	٧
ألف: المرحلة الأولى: الماء والهواء	٧
ب: المرحلة الثانية: السماوات والأرض	٨
ج: المرحلة الثالثة: الملائكة	٩
د: المرحلة الرابعة: الإنسان	٩
(٢) **اتمام الحجة في الدنيا**	١١
(٣) **الدنيا قنطرة**	١٥
(٤) **ذم الدنيا**	١٧
(٥) **مدح الدنيا**	٢٢
(٦) **الاعتبار من الدنيا**	٦٢
(٧) **الاغترار بالدنيا**	٣٠
ألف: نسيان الله تعالى	٣١
ب: ترك الهدى والبينات	٣١
ج: التمسك بالدنيا	٣١
د: نسيان الموت	٣٢
هـ: الغفلة	٣٢
(٨) **التحذير من بالدنيا**	٣٤
(٩) **نبذ بالدنيا**	٣٨

العنوان	الصفحة
(١٠) **سرعة انقضاء الدنيا**	٤٠
(١١) **أصناف الناس في الدنيا**	٤٥
(١٢) **ضعف الإنسان في الدنيا**	٥٣
(١٣) **حب الدنيا**	٥٤
ألف: نسيان الله تعالى	٥٥
ب: نسيان الآخرة	٥٥
ج: الابتلاء والشقاء والهلاك	٥٥
د: البعد عن التقوى والتورط في الآثام	٥٦
(١٤) **ضابطة الفرح والسرور في الدنيا**	٥٧
(١٥) **أهل الدنيا**	٥٩
(١٦) **الأنبياء عليهم السلام والدنيا**	٦٣
(١٧) **النبي صلى الله عليه وآله والدنيا**	٦٥
(١٨) **علي عليه السلام والدنيا**	٦٧
الفهرس	٧١